

تفسير البحر المحيط

@ 251 @ بأحدهما ، حيث جوز هذا وجوز هذا ، ولم يجزم بأنه افتراء محض ، احترازاً من أن ينسب الكذب لعاقل نسبة قطعية ، إذا العاقل حتى الكافر لا يرضى بالكذب ، لا من نفسه ولا من غيره ، وأضرب تعالى عن مقالتهم ، والمعنى : ليس للرسول كما نسبتهم البتة ، بل أنتم في عذاب النار ، أو في عذاب الدنيا بما تكابدونه من إبطال الشرع وهو بحق ، وإطفاء نور ^ا وهو متم . .

ولما كان الكلام في البعث قال : { يَلِ الْكَافِرِينَ لَا يَأْمُرُونَ بِالْإِخْرَاقِ } ، فرتب العذاب على إنكار البعث ، وتقدم الكلام في وصف الضلال بالبعد ، وهو من أوصاف المحال استعير للمعنى ، ومعنى بعده : أنه لا ينقص خبره المتلبس به . { أَفَلَا يَرَوْنَ } : أي هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة ، { إِلَٰهِي مَا بَدَيْتَ أَتَدْرِيهِمْ } : أي حيث ما تصرفوا ، فالسما والارض قد أحاطتا بهم ، ولا يقدر أن ينفذوا من أقطارهما ، ولا يخرجوا عن ملكوت ^ا فيهما . وقال الزمخشري : أعموا فلم ينظروا ، جعل بين الفاء والهمزة فعلاً يصح العطف عليه ، وهو خلاف ما ذهب إليه النحويون من أنه لا محذوف بينهما ، وأن الفاء للعطف على ما قبل همزة الاستفهام ، وأن التقدير فإلم ، لكن همزة الاستفهام لما كان لها الصدر قدمت ، وقد رجع الزمخشري إلى مذهب النحويين في ذلك ، وقد رددنا عليه هذا المذهب فيما كتبناه في (شرح التسهيل) . وقفهم تعالى على قدرته الباهرة ، وحذرهم إحاطتها بهم على سبيل الإهلاك لهم ، وكان ثم حال محذوفة ، أي أفلا يرون إلى ما يحيط بهم من سماء وأرض مقهور تحت قدرتنا نتصرف فيه كما نريد ؟ .

{ إِنَّ زَئِجَ الشَّامِ زَخَّسَفَ بِهِمُ الْأَرْضَ } ، كما فعلنا بقارون ، { أَوْ زُتُّ سَقَطٌ } عَلَايَهُمْ كَسَفَاءَ مِّنَ السَّمَاءِ } ، كما فعلنا بأصحاب الطلة ، أو { أَفَلَا يَرَوْنَ } { إِلَٰهِي مَا بَدَيْتَ أَتَدْرِيهِمْ } وَمَا خَلَّاهُمْ } محيطاً بهم ، وهم مقهورون تحت قدرتنا ؟ { إِنَّ } فِي ذَلِكَ { النَّظَرُ إِلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، والفكر فيهما ، وما يدلان عليه من قدرة ^ا ، { لَّآيَةً } : لعلامة ودلالة ، { لِّلْكُلِّ عِبْدٍ مُّذْنِبٍ } : راجع إلى ربه ، مطيع له . قال مجاهد : مخبت . وقال الضحاك : مستقيم . وقال أبو روق : مخلص في التوحيد . وقال قتادة : مقبل إلى ربه بقلبه ، لأن المنيب لا يخلو من النظر في آيات ^ا على أنه قادر على كل شيء من البعث ومن عقابه من يكفر به . وقرأ الجمهور : إن نشأ نخسف ونسقط بالنون في الثلاثة ؛ وحمزة والكسائي ، وابن وثاب ، وعيسى ، والأعمش ، وابن مطرف : بالياء فيهن ؛ وأدغم الكسائي الفاء في الباء في نخسف بهم . قال أبو علي : وذلك لا يجوز

، لأن الباء أضعف في الصوت من الفاء ، فلا تدغم فيها ، وإن كانت الباء تدغم في الفاء ، نحو : اضرب فلاناً ، وهذا ما تدغم الباء في الميم ، كقولك : اضرب مالكاً ، ولا تدغم الميم في الباء ، كقولك : اصمم بك ، لأن الباء انحطت عن الميم بفقد الغنة التي في الميم . وقال الزمخشري : وقرأ الكسائي نخسف بهم ، بالإدغام ، وليست بقوة . انتهى . والقراءة سنة متبعة ، ويوجد فيها الفصح والأفصح ، وكل ذلك من تيسيرة تعالى القرآن للذكر ، فلا التفات لقول أبي علي ولا الزمخشري . .

{ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا * دَاوُودَ * مِزْبَاحًا فَضَّلًا * يَاجِبَالُ * جِبَالٍ * أَوَّيَّ مَعَهُ * وَالطَّاغُوتَ * وَأَلَدْنَا لَهُ * الْحَدِيدَ * أَنْ اءْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرْ فِي السَّرْدِ * وَاءْمَلُوا * صَالِحًا * إِنْ رَأَى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * وَلَسُلَّيْمَانَ * الرِّيحَ غُدُوًّا * هَآ شَهْرًا * وَرَوَاحُهَا * شَهْرًا * لَهُ * عَيْنَ الْقِطْرِ * وَمِنَ الْجِنَّ * مَنْ يَعْمَلْ بَيِّنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ * وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ * عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ) سقط : يعملون له ما يشاء (إلى نهاية الآية) . { .